في تحقيق ذلك، وغايات توظيفه؛ اذ ان ما هو جوهري يبقى في الدوافع نفسها والتوقيت. والحقيقة، ان اعجاباً متبادلاً كان نشأ بين الجميل والسادات؛ فقد كان كلاهما يمتلك احساساً برسالة يعتقدان بأن التاريخ اناط بهما حملها.

غير ان سوريا، التي بقيت في الظل، هي التي تحركت أولاً، وليس مصر أو اسرائيل، للدفاع عن المارونية السياسية في لبنان، وعن قرية بكفيا، منطقة نفوذ عائلة آل الجميل، للحؤول دون اسقاطها من قبل التحالف الفلسطيني ـ اللبناني، الذي بات، في بداية العام ١٩٧٦، يسيطر على اكثر من ٨٠ بالمئة من المناطق اللبنانية، بعد ان نجحت المنظمة في الاستفادة من دروس صراعها في الاردن مع العاهل الاردني، حين استطاعت ان تؤمن لها حليفاً سياسياً بوزن الوطني الكبير كمال جنبلاط. فسوريا التي كانت، قبل ذلك، تقف الى جانب المنظمة وجنبلاط، تخلت عن هذا الموقف، وقامت بتوجيه دعمها للموارنة، الذين طالما ارتابوا من الجار القومي ـ البعثي، ونواياه. وفي الحقيقة، ان الامر لا ينطوي على مفارقة، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار المصالح والاعتبارات التي دفعت بالنظام السوري الى تغيير خططه. فقد كان هذا النظام يرتاب من ازدياد قوة المنظمة ونفوذها في لبنان، عشية التحضير للمؤتمر الدولي. كما ان سوريا لم تنظر، بارتياح، عبر التاريخ، للتقارب في العلاقة بين م.ت.ف. ومصر. اضافة الى ذلك، كان التدخل السوري في لبنان ضرورياً لبناء قاعدة توازن معاكسة في وجه جارة سوريا الاقليمية، الغنية بالنفط والموارد، أي في مواجهة العراق، الذي ما انفك يشكك بالحركة التصحيحية التي قام بها الرئيس السوري، ويعمل على اعادة الجناح القومي الى حزب البعث، الذي تخلص منه الاسد، الى الحكم في سوريا من جديد. ان الحاجة الى ايجاد هذا التوازن المعاكس، وتقوية موقف سوريا قبالة مصر، هما المحركان الاساسيان اللذان دفعا الرئيس الاسد الى التحالف مع عمان، والتدخل في لبنان، وتشديد القبضة السورية على م.ت.ف. في آن.

وقد عمل الاسد على تجاوز ضعف الزعماء السوريين السابقين له، حين تمكن من توظيف ضعف جارتيه التقليديتين، لبنان والاردن، في سياق بناء موقع اقليمي قوي لسوريا، حاول ان يعززه بضم م.ت.ف. وجعلها ـ من خلال الحاقها بالسياسة السورية ـ ورقة رابحة في يده، لاستخدامها في مساوماته السياسية. وربما كانت النوايا السورية هذه تجاه المنظمة، التي من شأنها اضعاف الفلسطينيين في مواجهة اسرائيل، هي الاساس الذي جعل الولايات المتحدة واسرائيل لا تعارضان التدخل العسكري السوري في لبنان، طالما ان الهدف منه تحجيم المقاومة الفلسطينية؛ ووجد في اسرائيل من رحّب بهذا التدخل، على انه يستنزف سوريا في يمن جديدة[٥٣] تؤدي الى اضعافها في المدى البعيد.

والحقيقة ان الرهان الاسرائيلي اثبت صحته فيما بعد. ذلك ان التدخل السوري في لبنان لم يؤد فقط الى ارتهان الازمة اللبنانية، منذ ذلك الوقت، للصراعات الاقليمية بصورة متزايدة، وانما، أيضاً، الى فتح مسار من التوتر في العلاقة السورية ـ الفلسطينية، أدى الى اضعاف هذين الحليفين ـ الخصمين؛ حيث بات التنافس فيما بينهما يخلق اشكالاً متعددة من الصراعات. كما ان كل الحلول المطروحة للازمة اللبنانية اصبحت، من الناحية الفعلية، متعذرة، نتيجة الخوف وفقدان الثقة المتراكمان اللذان نشآ بنتيجة الخلاف السوري ـ الفلسطيني؛ وهو ما ظهر، بوضوح، خلال مؤتمر القمة السداسي، الذي عقد في الرياض، لحل الازمة اللبنانية، والذي انتهى الى الفشل.

لقد كان من شأن هذا التمزق في العلاقة التي ربطت بين دول المواجهة العربية ان ينعكس